إشارات الامام الرضا "عليه السلام" الاقتصادية

د. بلال فالح صيهود

دكتوراه هندسة ميكانيكية ودكتوراه في القانون، باحث وكاتب في الاقتصاد والطاقة

dr.bilalalkhalifa@gmail.com

https://doi.org/ 10.61884/hjs.v14i57.696

ملخص :

ان الائمة عليهم السلام هم معدن العلم الذي قال عنه رسول الله انا مدينة العلم وعلي بابها، والائمة هم الامتداد الطبيعي والسماوي للإمام علي ﷺ، فكانوا باب لمدينة العلم، فهم كانوا عالمين غير معلمين كأمهم الزهراء عليها السلام فهم علماء في كل شيء، لانهم عدل القران الذي لم يفرط في شيء وكذلك هو تبيان لكل شيء، وهم أيضا القران العملي والقران هو النظري، واحد أولئك الائمة هو الامام الثامن الامام الرضا ﷺ الذي مثل الامتداد السماوي للنبي الاكرم في الذي خاض بمختلف العلوم لاسيما الأمور الاقتصادية، حيث أشار الامام الرضا ﷺ الى كثير من القضايا الاقتصادية منها الحث العمل وكما قام هو بنفسة بزراعة شجرة في دعوة منه كي تسير الامة على نهجة ﷺ وكما بارك وشجع التجارة في خطوة مهمه لتحريك الاقتصاد وبالتالي خلق فرص للعمل وتقليل البطالة الذي يعني تقليل الفقر لدى الناس.

الكلمات المفتاحية: الامام الرضا، الاقتصاد، العمل، المال.

Economic Thought and Insights of Imam al-Ridha (Peace Be Upon Him)

Dr. Bilal Falih Sayhood

PhD in Mechanical Engineering & PhD in Law

Researcher and Writer in Economics and Energy

dr.bilalalkhalifa@gmail.com

ABSTRACT

The Imams (peace be upon them) constitute the fountainhead of knowledge, as articulated by the Messenger of Allah (peace be upon him and his family): “I am the City of Knowledge, and Ali is its Gate.” As the divinely ordained and natural extension of Imam Ali (peace be upon him), the Imams served as the gateway to this City of Knowledge. Endowed with Allah-given knowledge, they were scholars without formal instruction, much like their mother, Lady Fatimah al-Zahra (peace be upon her). Their comprehensive knowledge encompassed all fields of human understanding, as they stand as the counterparts of the Holy Qur’an, which “leaves nothing neglected” and serves as a clarification of all matters. In this sense, the Qur’an represents the theoretical framework, while the Imams embody its practical application.

Among these eminent figures is the eighth Imam, Imam al-Ridha (peace be upon him), who represented the divinely guided continuation of the Prophet Muhammad (peace be upon him and his family).

KEYWORDS: Imam Reza, economy, work, money.

المقدمة

اولا: مفهوم الاقتصاد الإسلامي

الاقتصاد لغة: هو التوسط والاعتدال واستقامة الطريق.[1] قال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان:١٩] أي توسط فيه بين الدبيب والإسراع، وقال تعالى: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ [المائدة: ٦٦] أي من أهل الكتاب أمة معتدلة فليست غالية ولا مقصرة.[2]

وهذا المعنى « أي التوسط في الأشياء والاعتدال فيها « هو مضمون علم الاقتصاد وجوهره، والهدف الذي يقصد إليه، وهو ما نصت عليه الآيات القرآنية في العديد من المواضع. كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧].

واصطلاحا هو مجموعة المبادئ والأصول الاقتصادية التي تحكم نشاط اقتصاد للدولة الإسلامية التي وردت في نصوص القرآن والسنة النبوية، والتي يمكن تطبيقها بما يتلاءم مع ظروف الزمان والمكان.

(١) انظر: لسان العرب ١٧٩/١١ والقاموس المحيط ص٣٩٦ والمصباح المنير ص ٥٠٤ مادة قصد.

(٢) انظر: لسان العرب ٤٢٤/٣.

ثانيا: الاقتصاد الإسلامي:

الإسلام قرر أصول الاقتصاد منذ بداية التشريع الإسلامي، وكانت حياة الرسول انموذجا حياً لتطبيق هذا التشريع الذي استمر على نهجه أئمة اهل البيت عليهم السلام وخصوصا الامام علي عليه السلام من بعده.

كان النظام الاقتصادي للدولة الإسلامية في مكة على عهد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على أساس إشباع حاجات فقراء المسلمين، وكان يستلزم الأمر في ذلك الحين ضرورة الحصول على الأموال اللازمة للإنفاق من أجل تحقيق هذا الهدف وكان يكتفي في ذلك الوقت بالأموال التي يتبرع بها الصحابة للإنفاق منها على فقراء المسلمين، ولم تكن الزكاة إجبارية بل كانت طواعية واختياراً وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه واله وسلم إلى المدينة أخذ شكل الدولة الإسلامية يظهر بوضوح، وازداد عدد المسلمين، ونزلت الآيات التي أوجبت على المسلمين الزكاة في أموالهم، وتولت السنة النبوية بيان الشروط التي يجب توافرها في المزكي وفي المال نفسه.

يحمي النظام الإسلامي الملكية الخاصة، فمن حق الأفراد تملك الأرض والعقار ووسائل الإنتاج المختلفة مهما كان نوعها وحجمها، بشرط أن لا يؤدي هذا التملك إلى الإضرار بمصالح عامة الناس،

ثالثا: القواعد الاقتصادية:

هناك كثير من القواعد المهمة في الاقتصاد الإسلامي وهي:

١- **المشاركة في المخاطر:** وهي أساس الاقتصاد الإسلامي وعماده، وهي الصفة المميزة له عن غيره من النظم فالمشاركة في الربح والخسارة، هي قاعدة توزيع الثروة بين رأس المال والعمل، وهي الأساس الذي يحقق العدالة في التوزيع.

٢- **موارد الدولة:** لا ينفرد هذا النظام عن غيره في هذا الباب إلا في وجود الزكاة كمورد ينفرد به الاقتصاد الإسلامي وهي أشبه شيء بالضرائب، لكنها ضرائب على المدخرات، لتشجع على الإنفاق بدلا من الكنز مما يدفع عجلة الاقتصاد والإنتاج للدوران.

٣- **الملكية الخاصة:** يحمي النظام الإسلامي الملكية الخاصة، فمن حق الأفراد تملك الأرض والعقار ووسائل الإنتاج المختلفة مهما كان نوعها وحجمها، بشرط أن لا يؤدي هذا التملك إلى الإضرار بمصالح عامة الناس، وأن لا يكون في الأمر احتكاراً لسلعة يحتاجها العامة، وهو بذلك يخالف النظام الشيوعي الذي يعتبر أن كل شيء مملوك للشعب على المشاع.

٤- الملكية العامة: تظل المرافق المهمة لحياة الناس في ملكية الدولة أو تحت إشرافها وسيطرتها من أجل توفير الحاجات الأساسية لحياة الناس ومصالح المجتمع، وهو يخالف في ذلك النظام الرأسمالي الذي يبيح تملك كل شيء وأي شيء.

٥- الصدقات والأوقاف: وتعد الصدقات والأوقاف من خصائص الاقتصاد الإسلامي التي تعمل على تحقيق التكافل الاجتماعي، وتغطية حاجات الفقراء في ظل هذا النظام.

رابعا: المحظورات في النظام الاقتصادي الإسلامي:

١- تحريم الربا: الربا محرم في الإسلام. بنوعيه ربا الفضل وربا النسيئة. قال تعالى: ﴿.... وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا... ﴾ البقرة ٢٧٥

٢- تحريم الاحتكار: وهو محرم من السنة والأحاديث النبوية الشريفة، لما فيه من الإضرار بمصالح العامة والاستغلال لحاجاتهم، وما يتسبب فيه من قهر للمحتاج، وربح فاحش للمحتكر.

٣- تحريم الاتجار في القروض: القروض هي إحدى صور المال. فلا يجوز الاتجار به، إذ أن المال لا يباع ولا يشترى.

٤- تحريم بيع ما لا يمتلكه الفرد، وذلك لمنع المخاطرة أو المقامرة.

٥- تحريم بيع الغرر: وبيع الغرر هو بيع غير المعلوم، مثل بيع السمك في الماء، أو أنواع المقامرة التي نراها منتشرة في مسابقات الفضائيات وشركات الهواتف، اتصل على رقم كذا لتربح أو أرسل رسالة لتربح، وهي كلها من صور المقامرة التي حرمها الله عز وجل.

٦- تحريم الاتجار في المحرمات: فلا يجوز التربح من ما حرّم الله عز وجل، من التجارة في الخمور أو المخدرات أو الدعارة أو المواد الإباحية المختلفة، وغيرها من المحرمات، لأنها لا تعتبر مالاً متقوماً في الإسلام.

٧- تحريم بيع العينة: و هو شكل من أشكال التحايل على الربا، حيث يقوم الفرد بشراء شيء ما من شخص على أن يتم السداد بعد مدة، ثم يقوم ببيعها مرة أخرى إلى صاحبها بسعر أقل من الذي اشتراه به فيقبض الثمن، ثم يعود بعد المدة المتفق عليها و يقوم بدفع المبلغ الذي يكون أكثر من المبلغ الذي قبضه، فيكون هذا ظاهره بيع و باطنه ربا، فحرمه الإسلام جمهوراً، قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ) رواه أحمد وأبو داود.

خامسا: معايير المرجع النموذجي للاقتصاد الإسلامي [1]:

في دراسة سابقة للباحث تم التوصل إلى وضع عدد من المعايير والخصائص التي يجب التمسك بها عند وضع أو اختيار المرجع النموذجي في الاقتصاد الإسلامي، وهذه المعايير هي:

١- الشمول: ينبغي أن يكون كتاب الاقتصاد الإسلامي شاملا لجميع موضوعات الاقتصاد الإسلامي المتفق عليها.

٢- الأصالة: ينبغي أن يكون الكتاب أصيلا يشتمل على إضافات علمية، بحيث يضيف لبنات جديدة إلى صرح الاقتصاد الإسلامي.

٣- البعد عن المناقشات الفقهية: ينبغي أن يبتعد كتاب الاقتصاد الإسلامي عن المناقشات والخلافات الفقهية.

٤- التوازن: ينبغي أن يكون الكتاب متوازنا في عرضه للموضوعات الاقتصادية والإسلامية، فلا يغلب الجانب الاقتصادي الوضعي على الإسلامي، ولا يغلب الجانب الفقهي على الاقتصادي.

٥- مراعاة الواقع: ينبغي أن يكون كتاب الاقتصاد الإسلامي واقعيا وليس خياليا، بحيث يعرض أمثلة من الواقع التطبيقي، ويسهم في معالجة المشكلات الاقتصادية التي تعاني منها الأمة الإسلامية.

٦- الاستعانة بأدوات التحليل الاقتصادي: ينبغي أن يستخدم كتاب الاقتصاد الإسلامي أدوات التحليل الاقتصادي النافعة والمفيدة لخدمة القضايا الاقتصادية الإسلامية.

٧- البعد عن الأسلوب الوعظي العاطفي: ينبغي أن يكون كتاب الاقتصاد الإسلامي كتابا علميا موضوعيا يعتمد التبريرات العلمية الكافية والخطط العملية الواقعية، ويبتعد عن الوعظ العاطفي المثالي.

٨- تنوع المصادر: ينبغي أن يستعين كتاب الاقتصاد الإسلامي بالمصادر الأصيلة والحديثة ويرجع إلى مختلف المصادر التي يمكن الوصول إليها لخدمة قضايا الاقتصاد الإسلامي.

(١) كمال توفيق حطاب، خصائص المرجع النموذجي في الاقتصاد الإسلامي، (جامعة اليرموك- الأردن: ٢٠١٧).

سادسا: أهمية البحث:

تبدو أهمية البحث في محاولة تتبع الأفكار الاقتصادية التي نثرها الامام الرضا عليه السلام الروايات، حيث ان الامام اهتم في مختلف المجالات لكن نود الإشارة الى خصيصة لم تلقى الاهتمام الكافي وهي الجانب الاقتصادي عند الامام، لقد كتبت عدة بحوث وكتب ومقالات في موضوعات أخرى. فيأتي هذا البحث كمحاولة لتتبع ودراسة الامام الرضا عليه السلام الاقتصادية، وهو ما سيساعد على اكتشاف جذور الفكر الاقتصادي الإسلامي المعاصر، وإيضاح معالم تطور هذا الفكر عبر العصور التاريخية المتعاقبة، وإغناء علم الاقتصاد الإسلامي المعاصر وتوسيع مجالاته وتطبيقاته، فضلاً عمّا سيقدمه من تجارب إلى المفكرين الاقتصاديين المعاصرين، وخاصة في الجوانب المتعلقة بالسياسة الاقتصادية والمالية العامة.

سابعا: مشكلة البحث:

تبدو مشكلة البحث عبر النقاط الآتية:

١- إن عدم التوسع في الدراسات الفكرية الاقتصادية الإسلامية مع الأيام؛ لتضم رجالًا آخرين ومؤلفات أُخر، جعل الدراسات حول هذه الموضوعات تتسم بالتكرار الممل أحيانًا، والإعادة التي لم تضف شيئًا إلى سابقاتها أحيانًا أخرى، والامام الرضا عليه السلام كان بعيدًا عن كل تلك الدراسات السابقة، مما جعل البحث في فكره الاقتصادي بحثًا يتسم بالجدَّة والبعد عن التكرار في الدراسات الفكرية الاقتصادية الإسلامية.

٢- إن البُعد الزَّماني والمكاني (بلاد فارس) والنَّوعي لهذه الدراسة، مهمة جدا حيث انتقل مقر الدولة العباسية من بغداد الى خراسان.

فيمكن صياغة مشكلة البحث بالسؤال الآتي: ما مدى إسهامات الامام الرضا عليه السلام في المجال الاقتصادي؟

ثامنا: أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق الأمور الآتية:

١- بيان أهم الأفكار الاقتصادية التي بثَّها الامام الرضا عليه السلام في كتبه.

٢- ذكر آراء الامام الرضا عليه السلام حول الحاجات الاقتصادية.

٣- بيان آراء الامام الرضا عليه السلام حول فروع النشاط الاقتصادي.

٤- إيضاح الآراء الاقتصادية التي قدمها الامام الرضا عليه السلام حول السياسات الاقتصادية والاجتماعية.

تاسعا: حدود البحث

يقتصر البحث على استنباط أهم الأفكار الاقتصادية عند الامام الرضا عليه السلام عبر خطبه واقواله وافعاله.

عاشرا: منهج البحث

اعتمد الباحث المناهج الاستقرائية والاستنباطية والتحليلية، عبر تتبع النصوص أو الجمل في اقوال وافعال الامام الرضا ﷺ، وقراءتها بعمق، وتحليلها، من أجل استنباط صيغ أو أفكار اقتصادية.

الحادي عشرة: خطة البحث

يتكون البحث من: مقدمة، وثلاث مباحث، واستنتاجات وتوصيات، كالآتي:

المبحث الأول: العلم عند الائمة وعند الامام الرضا عليهم السلام.

المبحث الثاني: الوضع الاقتصادي للدولة العباسة في عهد المأمون.

المبحث الثالث: الإشارات الاقتصادية في كلام الامام الرضا ﷺ

ثم ختم البحث بالنتائج والاستنتاجات وأخيرا التوصيات.

المبحث الأول

العلم عند الائمة وعند الامام الرضا عليهم السلام

المحور الأول: علم اهل البيت

يقول الله تعالى في محكم آياته:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾. (١)

إن الإمامة الإلهية هي مشروع كبير، ومنصب رفيع أقامه الله تعالى للوصول بالناس إلى الهداية، والقيّم على هذا المشروع هو الإمام ﷺ ومن اللازم على من نصّبه الله تعالى لهداية البشر أن يكون أهدى الناس، وأعلمهم بطرق الهداية، بل لا بد أن يتميز الإمام بعلم خاص كله هداية ونور دون شائبة من ظلام لأنه باب العلم، كما عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "**أنا مدينة العلم وعلي بابها**". (٢) في حديث آخر عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "**إن أهل بيتي الهداة بعدي أعطاهم الله فهمي وعلمي، وخلقوا من طينتي، فويل للمنكرين حقهم من بعدي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي.**" (٣)

(١) الأنبياء:٧٣

(٢) بحار الأنوار،) العلامة المجلسي، ج٣٢(، ص١٣.

(٣) بحار الأنوار،) العلامة المجلسي، ج٣٢(، ص١٣.

المحور الثاني: مصادر علم اهل البيت

المصدر الأول: العلم الموروث

وهو العلم الذي يتلقاه الأئمة ﷺ بواسطة الرسول الأعظم (ص)، وهو المعبَّر عنه في الروايات بالعلم الموروث او السلسلة الذهبية، وهو يشمل العلم بالكتاب المجيد كلِّه والذي هو تبيان لكل شيء، والعلم بالسنَّة الشريفة بتمام تفاصيلها ودقائقها، والعلوم التي أنزلها الله عز وجل على أنبيائه من لدن آدم ﷺ إلى نبيّنا الكريم (ص)، فقد جُمعت في قلب رسول الله (ص) وعلَّمها رسولُ الله (ص) وصيَّة عليَّ بن أبي طالب ﷺ.

ومن الاحاديث الدالة على ذلك هو ما ورد بسندٍ معتبر عن ابي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال قلت: (جعلت فداك إنَّ شيعتك يتحدثون أن رسول الله (ص) علَّم عليًا ﷺ بابًا من العلم يُفتح له منه ألف باب؟ قال: فقال ﷺ: يا أبا محمد علَّم رسول الله (ص) عليًا ألف باب من العلمُ يفتح من كلِّ باب ألفُ باب، قلت هذا والله العلم، قال: فنكت ساعةً في الأرض ثم قال ﷺ إنَّه العلم وما هو بذاك، قال: ثم قال ﷺ: يا أبا محمد وإنَّ عندنا الجامعة وما يُدريهم ما الجامعة، قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعًا بذراع رسول الله (ص) وإملائه من فلْقِ فيه وخطِّ عليٍّ بيمينه، فيها كلُّ حلال وحرام وكلُّ شيء يحتاج إليه الناس حتى الأرش في الخدش، وضرب بيده إليَّ فقال تأذن لي يا أبا محمد، فقلت: جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت، فغمزني بيده فقال ﷺ: حتى أرش هذا -كأنه مغضب- قال: قلت: هذا والله العلم، قال ﷺ: إنه لعلم وليس بذاك، ثم سكت ساعة ثم قال ﷺ: وإنَّ عندنا الجفر، وما يُدريهم ما الجفر، قال: قلتُ وما الجفر؟ قال ﷺ: وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم الأنبياء الذين مضوا من بني إسرائيل..)".[1] ومنها: ما ورد بسند معتبر عن الحسين بن أبي العلاء قال: سمعتُ أبا عبد الله ﷺ يقول: (إنَّ عندنا الجفر الأبيض، قال: فقلت: فأيُّ شيء فيه قال ﷺ: زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصُحُف إبراهيم، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة ما أزعم أنَّ فيه قرآنًا..)".[2]

ومنها: ما ورد بسندٍ معتبر عن أبي رئاب عن أبي عبيدة قال: (سأل أبا عبد الله ﷺ بعضُ أصحابنا عن الجفر قال: هو جلد ثور مملوءٌ علمًا، قال له: فالجامعة؟ قال ﷺ: فيها كلّ ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلا وهي فيها حتى أرش الخدش)".[3]

---

(١) الفيض الكاشاني، (علم اليقين في أصول الدين)، ص ٧٢٨.

(٢) هاشم معروف الحسني، (أصول التشيع)، ص ٢٤١.

(٣) مقاتل ابن عطية، (أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد، ج١)، ص ٥٣٠.

المصدر الثاني: مصحف فاطمة

من مصادر علم أئمة أهل البيت ﷺ هو مصحف فاطمة ﷺ وهو كتاب بحجم القرآن ثلاث مرّات، إلا أنَّه ليس قرآنًا. ومنشأ تسميته بمصحف فاطمة ﷺ هو أنَّ مضامين هذا الكتاب كان قد تلقَّته فاطمة ﷺ بواسطة الملَك الذي يُحدِّثها، فهو إذن من حديث الملَك وخطِّ علي ﷺ.وقد ورد في ذلك روايات مستفيضة، وفيها ما هو معتبر سندًا.

منها: ما ورد بسندٍ معتبر عن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال الإمام الصادق ﷺ: («وإنَّ عندنا لمصحف فاطمة ﷺ، وما يُدريهم ما مصحفٌ فاطمة ﷺ، قال: قلت: وما مصحف فاطمة ﷺ، قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت: هذا والله العلم..)".

المصدر الثالث: هو تحديث الملائكة: من مصادر علم الأئمة ﷺ هو تحديث الملائكة لهم، وقد نصَّت على ذلك روايات مستفيضة وفيها ما هو معتبر سنداًمنها: ما ورد بسندٍ معتبر عن محمد بن إسماعيل قال: سمعت أبا الحسن ﷺ يقول: الأئمة علماء صادقون محدَّثون. ومنها ما ورد بسند معتبر عن حمران بن أعين قال: قال أبو جعفر ﷺ: («إن عليًّاً كان محدَّثاً، فخرجت إلى أصحابي فقلتُ: جئتكم بعجيبة، فقالوا: وما هي؟ فقلت: سمعت أبا جعفر ﷺ يقول: كان عليٌّ محدَّثاً، فقالوا: ما صنعت شيئاً، ألا سألته من كان يُحدِّثه، فرجعت إليه فقلت: إنِّي حدثت أصحابي بما حدثتني فقالوا: ما صنعت شيئاً ألا سألته من كان يُحدِّثه؟ فقال لي: يُحدِّثه ملَك، قلت: تقول إنَّه نبي؟ فحرك يده -هكذا- أو كصاحب سليمان أو كصاحب موسى أو ذي القرنين، أو ما بلغكم أنه (ص) قال: وفيكم مثله)".

المصدر الرابع: الروح: من مصادر علم الأئمة ﷺ هو الروح، وقد عرَّفته الروايات بأنَّه خلْقٌ من خَلْقِ الله تعالى كان مع النبي (ص) ثم هو مع الأئمة من بعده إمامًا بعد إمام، وبه يقف النبي (ص) والأئمة على كثير من المعارف الإلهية، وبواسطته يكون التسديد والعصمة. وليس بوسعنا إدراك حقيقة وكنه هذه الروح، فإنه أمر مستصعب، فلا نتعدى مقدار ما أفادته الروايات والتي هي روايات كثيرة تفوق حدَّ الاستفاضة.

المصدر الخامس: الالهام

من مصادر علم الأئمة من أهل البيت ﷺ هو ما يُعبَّر عنه بالإلهام وعرَّفوه بإلقاء المعاني والحقائق والمعارف في القلب بطريق الفيض الإلهي أي بلا اكتساب، وهذا الطريق هو المعبَّر عنه في الروايات بالقذف والنكت في القلوب.

وقد فُسِّر المراد من الوحي في قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشورى/٥٢ بالإلهام والفيض الإلهي، فعرفت به أنَّ ابنها موسى سيردُّه الله إليها وإنَّه سوف يكون من المرسلين، وتلك من الحقائق المودعة في مكنون الغيب، ولم تكن أمُّ موسى من الأنبياء، ورغم ذلك أُلهِمت هذه الحقيقة الغيبيَّة.

المحور الثالث: علم الامام الرضا عليه السلام

اتفقت أقوال المعاصرين والمؤرخين على أنه (عليه السلام) كان أعلم أهل الأرض ولعل أول ما يبرز في هذا الخصوص اعتراف المناوئين له بعلمه ومنهم المأمون العباسي الذي قال: (إني نظرت في ولد العباس وعلي فلم أجد مثل علي الرضا في علمه ودينه ولا أحق وأفضل منه)

أولا: اقوال بعض العلماء في علم الامام الرضا عليه السلام

فقد كان الأمام الرضا (عليه السلام) بإجماع المؤرخين والرواة – أعلمَ أهلِ زمانه، وأفضلَهُم، وأدراهُم بأحكام الدين، وعلوم الفلسفة، والطب، وغيرها من سائر العلوم. وقال إبراهيم بن العباس الصولي: (ما رأيت الرضا سُئل عن شيء إلا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب عنه وكان جوابه كله انتزاعا من القرآن المجيد).

وقال القائد العباسي رجاء بن أبي الضحاك الذي بعثه المأمون لاستدعاء الإمام الرضا من مدينة جده: (والله ما رأيت رجلاً كان أتقى لله منه، ولا أكثر ذكراً له في جميع أوقاته ولا أشد خوفاً لله عز وجل... كان لا ينزل بلداً إلا قصده الناس يستفتونه في معالم دينهم، فيجيبهم ويحدثهم الكثير عن آبائه عن علي عن رسول الله (ص) فلما وردت على المأمون سألني عن حاله في طريقه فأخبرته بما شاهدته منه في ليله ونهاره وظعنه وأقامته، فقال: بلى يا أبن أبي الضحاك هذا خير أهل الأرض وأعلمهم وأعبدهم).

وقال أبن الجوزي في تذكرته والحاكم في تاريخه: (لقد أخذ العلم والحديث عن أبيه، وكان يجلس في مسجد رسول الله (ص) فيفتي الناس وهو أبن نيف وعشرين سنة).

وقال ابن تيمية: (علي بن موسى له من المحاسن والمكارم المعروفة والممادح المناسبة للحالة اللائقة به ما يعرفه بها أهل المعرفة)

وقال ابن الصباغ المالكي: (مناقب علي بن موسى الرضا من أجل المناقب وإمداد فضائله وفواضله متوالية كتوالي الكتائب وعجائب أوصافه من غرائب العجائب وسؤدده ونبله قد حل من الشريف في الذروة والغالب)

كان المأمون العباسي يعقد مجالس المناظرة ويدعو المسلمين والمتكلمين وعلماء الأديان الأخرى وأصحاب الدعوات ويدعو الإمام الرضا ﷺ للمحاججة والحوار، فلا يخرج هؤلاء من المناظرة إلا وقد أقروا بعلم الإمام ﷺ وفضله عليهم ويعبر الإمام الرضا ﷺ عن هذه الحقيقة بقوله: كنت أجلس في الروضة والعلماء متوافرون فإذا أعيا الواحد منهم مسألة أشاروا إلى أجمعهم وبعثوا إلي بالمسائل فأجبت عنها.

ابن الصباغ المالكي: «قال إبراهيم بن العباس: سمعت العباس يقول ما سئل الرضا عن شيء الاّ علمه، ولا رأيت اعلم منه بما كان في الزمان الى وقت عصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيبه الجواب الشافي»[1]

قال سليمان الجعفري: «كنت عند أبي الحسن الرضا عليه السّلام والبيت مملوء من الناس يسألونه وهو يجيبهم فقلت في نفسي: ينبغي أن يكونوا أنبياء فترك الناس ثم التفت اليّ فقال: يا سليمان ان الأئمة حلماء علماء يحسبهم الجاهل أنبياء وليسوا أنبياء)[2].

ثانيا: بعض الوقائع الدالة على علمه عليه السلام

١- **علم الامام بالأنواء الجوية:** وقال: (خرجنا معه الى بعض املاكه في يوم لا سحاب فيه فلما برزنا قال: هل حملتم معكم المماطر؟ قلنا: لا وما حاجتنا الى المماطر وليس سحابٌ ولا نتخوف المطر، قال: قد حملته وستمطرون، قال: فما مضينا الاّ يسيراً حتى ارتفعت سحابة ومطرنا فما بقي منا أحد الاّ ابتلّ)[3]

٢- **معرفته بكل اللّغات:** تميَّز الإمام الرضا ﷺ، بمقدرته على مخاطبة كل قوم بلغته، وهذا قد تظافرت به الروايات الواردة عن مَن كان يتواصل معه: يقول اسماعيل السندي: سمعت بالهند أنّ لله في العرب حجّة، فخرجت في طلبه، فدللت على الرضا ﷺ فقصدته، وأنا لا أحسن العربية، فسلّمت عليه بالسنديّة، فردّ عليَّ بلغتي، فجعلت أُكلمه بالسندية، وهو يردّ عليَّ بها، وقلت له: إنّي سمعت أنّ لله حجّة في العرب، فخرجت في طلبه، فقال: أنا هو، ثمّ قال لي: سلْ عمّا أردته، فسألته عن مسائل فأجابني، عنها بلغتي. [4]

(١) ابن الصباغ،(الفصول المهمة)، ص٢٥١.

(٢) محمد بن علي بن شهراشوب، (المناقب)،ص٣٣٤.

(٣) الشيخ الطبرسي، اعلام الورى ص٣٢٣،٣٢٦.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٩، ص٥٠.

المبحث الثاني

الوضع الاقتصادي للدولة العباسة في عهد المأمون

اتسم العصر العباسي الذي امتاز بكثرة الأزمات الاقتصادية وتعددت أسبابها مثل الصراعات والفتن السياسية وأهمها الصراع بين الأمين والمأمون سنة (١٩٣ هـ/ ٨٠٨ م) والذي استمر لمدة خمس سنوات وكلف الدولة أموالاً طائلة حتى أفلست الخزينة في عهد الخليفة الأمين، ثم سيطر الأتراك على الخلافة وإسرافهم ومحاربتهم الخلفاء، والاضطراب السياسي في فترة التسع سنوات من (٢٤٧ – ٢٥٦ هـ / ٨٦١ – ٨٦٩ م) صاحبه اضطراب اقتصادي وكادت الخلافة أن تسقط بيد الأتراك.

وظهور حركة الزنج في البصرة سنة (٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) والتي استمرت خمسة عشر عاماً كلفت الدولة وتسببت في إفلاس الخزينة، واضطر الأمير الموفق بالله إلى استقراض الأموال من التجار والكتاب والعمال.

ثم الأزمة الاقتصادية في عهد الخليفة المعتضد بالله الذي حكم سنة (٢٧٩-٢٨٩ هـ/ ٨٩٢ – ٩٠١ م) الذي وجد بيت المال خاوياَ، وليس موجوداً فيه مال ولا ذهب. ويذكر «ان الخليفة المعتضد بالله اراد تجهيز جيش فعجز عن ذلك بيت مال العامة فأخبر بمجوسي له مال عظيم فاستدعاه يستقرض منه على ان يعيده له، فقال له: مالي بين يديك يا أمير المؤمنين فلتأخذ ما تشاء، فقال: من اين عرفت اننا نرده لك، فقال المجوسي: يا أمير المؤمنين يأتمنك الله تعالى على عباده وبلاده فتؤدي الأمانة وتفيض العدل، وتحكم بالحق، واخاف على جزء من مالي؟ فدمعت عيناهُ فقال: انصرف قد وفرّ الله عز وجل مالك وأغنانا عن القرض منك» [(١)].

ثم إسراف الخليفة المقتدر بالله وتبذيره كان سبباً في حدوث أزمة اقتصادية في عصره، فضلاً عن اضطراب الوضع السياسي وعدم استقرار الخلافة، واعمال السلب والنهب التي يقوم بها الجند أثناء فترات الفوضى السياسية، واستغلال خلع وتنصيب خليفة جديد، فيقومون بسلب ذخائر الخلفاء وممتلكاتهم، فضلاً عن ذلك استقلال الأطراف عن جسم الخلافة العباسية مثل دولة الاغالبة ودولة الادارسة والدولة الصفارية والدولة السامانية في بلاد ما وراء النهر.

(١) ابن الجوزي، المنتظم: ١٣٦/٥.

ولجأت الدولة في العصر العباسي من اجل حل الأزمة الاقتصادية إلى ضرب الأواني من الذهب والفضة وتحويلها إلى عملة أو سك عمله رديئة، والاهتمام بالزراعة ومصادرة أموال عدد كبير من الوزراء الكتاب والعمال والأثرياء بسبب ثرائهم الفاحش واستغلالهم أموال الدولة.[١]

أولى الأزمات الاقتصادية خطورة هي في عصر الخليفة الأمين وبحدود سنة (١٩٧هـ/ ٨١٢م)، وكان السبب المباشر لها هو الحرب بين الأخوين الأمين والمأمون والتي أمتدت بين سنة (١٩٣هـ) إلى (١٩٨ هـ) والتي انتهت بمقتل الخليفة الأمين، وفي أثناء الحرب نفذت الأموال التي كانت في خزينة الدولة عندها اضطر الخليفة الأمين من اجل تأمين ودفع مرتبات الجند وإدامة واستمرارها، ومن اجل معالجة الأزمة اضطر الخليفة الأمين إلى ضرب أواني الذهب والفضة التي يمتلكها وجعلها نقوداً، والمعروف ان النقود هي بمثابة الدم الذي يضخه القلب في أي نشاط اقتصادي، ولهذا نجد ان الأزمة الاقتصادية الحالية سببها عدم التزام البنوك بموضوع السيولة النقدية وهدفها هو الربح[٢].

فضلاً عن إسراف الخليفة الأمين الذي أمر بعمل خمس حرّاقات وهي نوع من السفن فيها مرامي للنيران، أمر بعملها على صورة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس، أنفق مالاً عظيماً بلغ على أحداهما ثلاثة ملايين درهم، ثم بناءه عدة قصور[٣].

ويذكر ان الخليفة الأمين بذر الأموال التي جمعها لخليفة أبو جعفر المنصور والخليفة هارون الرشيد، حتى لم يبقَ له من ذخائر الخلفاء إلا أنفقه، فلما اشتد به الحصار أمر أحد قواده أن يتبع أصحاب الأموال والودائع والذخائر[٤]، وهرب الناس خوفاً على أموالهم بحجة الحج[٥].

(١) أحمد إسماعيل عبد الله الجبوري، تاريخ الأزمات الاقتصادية الإسلامية الأسباب والمعالجات - العصر العباسي أنموذجاً -، (كلية التربية جامعة الموصل، العراق).

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ:(٢٧١/٥؛ المسعودي، مروج الذهب): ٤٠٣/٣.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ٢٩٤/٥.

(٤) المسعودي، (مروج الذهب): ٤٠٨/٣.

(٥) المصدر نفسه: ٤٠٨/٤

المبحث الثالث

الإشارات الاقتصادية في كلام الامام الرضا عليه السلام

ان الامام الرضا عليه السلام هو حلقة في سلسلة اهل أئمة اهل البيت عليهم السلام، المكملين لرسالة النبي الاكرم في تبليغ الرسالة السماوية التي ختمت الأديان وجعلت من نبوة النبي هو خاتم الأنبياء عليهم السلام، وهؤلاء الائمة هم الميراث الفعلي والعملي للنبي الاكرم صلوات ربي عليه فهم عالمين غير معلمين وورثوا العلم والأخلاق واحد بعد واحد فكانوا التجسيد العملي للقران، ورغم اختلاف الأزمنة بينهم واختلاف الأدوار فكان المنهج واحد (وحدة الهدف واختلاف الدور) ومن الطبيعي ان يهتموا بأمور اقتصادية في حال ان الامر تطلب ذلك، لذلك نرى ان الائمة جميعا لديهم إشارات اقتصادية في احاديثهم وبما يتلاءم مع الفهم السائد آنذاك (كلموا الناس على قدر عقولهم) وان امامنا الرضا عليه السلام أشار أيضا في بعض احاديثه المقدسة حول بعض الأمور الاقتصادية والتي يرى انه من الضروري ان يقوم الامر آنذاك. **أشار الامام الى عدة أمور اقتصادية مهمه ومن تلك الإشارات هي:**

١- سوء الحالة الاقتصاديّة وتدنّي مستوى المعيشة

لقد كانت الحالة الاقتصادية العامّة للبلاد في ذلك العصر غير مستقرّةٍ، وذلك بالرغم من الإمكانات الهائلة التي توفّرت أمام الدولة [١]، من خيرات الأرض والسماء، وعمل الإنسان، وسعة مال الخراج، الذي بلغَتْ وَفْرَته ذات مرّةٍ حدّاً أنهم كانوا يضطرّون فيه إلى القيام بعمليات وزن المال؛ بسبب عدم القدرة على عدِّه، فكانوا يقولون مثلاً: إنه ستّة آلاف قنطار من الذهب [٢]. لكنّ تلك الأموال الضخمة والثروات الهائلة لم تكن موضوعةً في خدمة عامّة الناس؛ من أجل تطوير حياتهم، وتحسين مستوى معيشتهم، بل كان الحكّام والسلاطين يتصرّفون فيها بحَسَب أمزجتهم [٣]، وينفقونها على حواشيهم ومحاسيبهم وأهوائهم وشهواتهم [٤]ولياليهم الحمراء،

---

(١) قُدِّرت واردات الدولة في عهد الإمام الرضا عليه السلام من الخراج وحده بحوالي ٤٠٠ مليون درهم. (راجِعْ: القرشي، حياة الإمام الرضا عليه السلام ٢: ١٧٩ ـ ١٨٠). والرقم ٤٠٠ مليون درهم ذكره ابن خلدون في مقدّمته: ١٨٠.

(٢) القرشي، حياة الإمام الرضا، ٢: ١٩٠.

(٣) يذكر ابن الأثير في تاريخه ٦: ٤٣٤، أن المأمون كان في دمشق، فأصابته ضائقة مادية اقتصادية فحملت إليه كمية من المال قدرت بحوالي ثلاثين مليون درهم من مال الخراج، فأمر المأمون بإنفاق ٢٤ مليون درهم منها على أصحابه، والباقي أنفقه على جنده.

(٤) كان الإسراف والتبذير ظاهرة طبيعية سائدة عند ملوك بني العبّاس. فقد بنى المهدي منتزهاً أنفق عليه ٥٠ مليون درهم، وصرف المتوكّل على قصره المعروف بالماحوزة ٥٠ مليون درهم، وعلى قصره المعروف بالعروس ٣٠ مليون، وعلى البَهْو ٢٥ مليون درهم. ومن الألوان والأشكال الأخرى للبذخ والإسراف الكبير الذي تفنَّن فيه حكام الدولة العباسية، والمذكور في بطون الكتب التاريخية، قصة زواج المأمون ببوران،

أو على بناء القصور والعمارات الفارهة [1]، وتمكين الجيوش من السيطرة على المجتمع. ومن المؤسف أنّ هذه الأموال الوفيرة لم تُنْفَقْ على تحسين أوضاع المسلمين، وتطوير حياتهم، وإنّما كان الكثير منها يصرف على الشهوات والملذّات الشخصيّة للحكّام ومَنْ لفَّ لفيفهم. وقد عكست تلك الإنفاقات الهائلة حالة جنون البَذْخ والتَّرَف، الذي عاشته بغداد في ذلك العصر، وروَتْه حكايا وقصص (ألف ليلة وليلة)، التي مثَّلت حياة اللَّهْو والغَرَق في الشهوات.

لقد كان من الطبيعيّ جدّاً أن توجد هذه السياسات الظالمة [2]، التي انتهجها حُكّام العصر العبّاسي [3]، حالةً ضاغطة من البؤس والحرمان والفقر والجوع على الفرد والمجتمع ككلٍّ، أدَّتْ

حيث بلغت تكاليف ونفقات هذا العرس أكثر من ٤٨ مليون درهم. وقد قيل في ذلك الشيء الكثير (راجع: تاريخ ابن الأثير ٦: ٣٦٤؛ ابن الساعي البغدادي، نساء الخلفاء: ٦٨؛ حميد بن احمد المحلي، الحدائق الوردية ٢: ٢٢٠؛ داوود بن عمر الأنطاكي، تزيين الأسواق: ٣. ١٧). ويبدو أن هذا الإسراف والهدر الكبير الذي جرى في ثروات الأمة ومقدراتها وموارِدها الجبارة والهائلة من قِبَل فئةٍ مفسدة وظالمةٍ من الحكام والفراعنة والحواشي والتابعين لهم ما زال يجري، ويفعل فعله تمزيقاً وتفتيتاً في طاقات أمّتنا العربية الإسلامية حتّى يومنا هذا؛ إذ لا يكاد يمرّ يوم إلاّ ونسمع فيه . في إعلامنا المقروء والمسموع والإلكتروني . عن قضايا وفضائح الفساد والاختلاس والنهب والسرقة، وبأرقام تصل إلى حدّ الخيال، يقوم بها مسؤولو هذه الدولة العربية أو تلك، حتّى وصلت المسألة إلى مرحلةٍ أصبحت فيها أخبار الفساد والإفساد التزوير والبذخ والإسراف الموثقة جدّاً أموراً طبيعيّة للغاية. وكلّ ذلك يجري للأسف على مرأى ومسمع الشعب كلّه، ومرأى ومسمع وزارات العدل والداخلية والشرطة وهيئات الرقابة والتفتيش العربية وغيرها. وإذا كان المأمون قد صرف على نفسه كلّ هذا المبلغ الضخم من المال فإن الكثير من حكّامنا ورؤسائنا وحواشيهم (ومَنْ لفّ لفَّهم) من أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة فاقوا وبزّوا المأمون بزّاً في هذه المسألة الإفسادية. وإذا كانت أرقام المأمون . وغيره من حكّام البيت العباسي . قد وصل إلى الحدّ المليوني فقط فإن أرقام هؤلاء قد تجاوزت المئات من المليارات بكثيرٍ، بدَّدوها وأنفقوها على شراء الضمائر والذِّمَم ومواقع النفوذ والتأثير، أو وهبوها للمطربين والمغنّين على طريق الأهواء والشهوات والعبث بمقدرات البلاد والعباد، أو سلَّموها إلى المستعمرين الجُدُد؛ حفاظاً على كراسيهم وعروشهم ونهبهم لبلدانهم.

(١) تضخّمت الثروات الهائلة عند بعض الناس، خصوصاً في بغداد عاصمة العالم الإسلامي آنذاك، فقد وجدَتْ فيها طبقة غنية ومترفة في غناها كانت تملك الملايين. وكذلك البصرة؛ فقد ضمَّت طبقة كبيرة من أهل الثراء العريض والفاحش، وكانت البصرة ثَغْرَ العراق، والمركز التجاري الخطير الذي يصل بين الشرق والغرب، وتستقبل متاجر الهند، وجزر البحار الشرقية، ومن أجل ذلك سُمِّيت البصرة أرض الهند وأمّ العراق.

(٢) وثَّق المؤرّخون وقائع وحوادث كثيرة من هذه المظالم، نذكر منها: ما فرضه هؤلاء الحكام من ضرائب باهظة حتّى على تركة الأموات. وقيل في ذلك شعرٌ، لابن المعتزّ، يصور فيه معاناة الناس من جرّاء ذلك. (راجع كتاب: الحضارة الإسلامية ١: ١٩٩). أما بالنسبة للقسوة في أخذ الخراج . وما تركه ملوك العباسيين من أموال طائلة اختلسوها من الشعوب (المسلمة)، وأخذوها بقوة الحديد والنار . فحدِّثْ عنه ولا حَرَج. (راجع: الخراج: ١١٦ . ١١٨؛ المسعودي، مروج الذهب ٣: ٣١٨؛ البدء والتاريخ ٦: ٩٢؛ وغيرها).

(٣) أرَّخ كثير من شعراء العصر العباسي لهذه المرحلة التاريخية. فها هو أبو العتاهية يحدِّثنا . شاكياً باكياً . عمّا كانت عليه العامّة من البؤس والشقاء، يقول:

مَنْ مبلغٌ عنّي الـ*** إمام نصائح متوالية

في محصِّلتها النهائية (المأساوية) إلى هَدْر طاقات الأمّة وثرواتها وقدراتها وذخائرها المعنويّة والماديّة، وإساءة استخدام وسائل الحكم وإدارة شؤون الناس في داخل الأمّة وخارجها.

٢- الخراج

فصّل الامام الرضا (عليه السّلام) حكم الخراج في الأراضي و في حديثه مع أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: ذكرت لأبي الحسن الرضا (عليه السّلام) الخراج و ما سار به أهل بيته فقال: العشر و نصف العشر على من أسلم طوعا تركت أرضه في يده و أخذ منه العشر و نصف العشر فيما عمر منها و ما لم يعمر منها أخذه الوالي فقبله ممن يعمره و كان للمسلمين و ليس فيما كان أقل من خمسة اوساق شيء و ما اخذ بالسيف فذلك الى الامام يقبله بالذي يرى كما صنع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) بخيبر قبل ارضها و نخلها و الناس يقولون: لا تصلح قبالة الأرض و النخل اذا كان البياض اكثر من السواد و قد قبل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) خيبر و عليهم في حصصهم العشر و نصف العشر.[١]

٣- الحث على العمل

ان العمل الفردي هو اللبنة الأولى في الاقتصاد، وكذلك هو أساس اعالة العائلة وديمومة المجتمع، لذلك حث النبي الاكرم صلوات ربي وسلامة عليه والائمة عليهم السلام ومنهم الامام الرضا عليه السلام على العمل وفضل العامل على غيرة، الأحاديث كثيرة ومستفيضة جدا في هذا الشأن وعلى سبيل المثال لا الحصر، رواية عن الامام جعفر الصادق عليه السلام يقول فيها (الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله) [٢]، لكن هنا نورد الأحاديث التي جاءت عن طريق الامام الرضا عليه السلام ومنها:

في حديث عن الإمام الرّضا (عليه السلام) يقول فيه: (اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الاخوان والثقات، الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم، وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات) [٣].

إنّي أرى الأسعار *** أسعار الرعيّة غاليه
وأرى المكاسب نزرة *** وأرى الضرورة فاشيه
وأرى هموم الدهر *** رائحة تمرّ وغاديه
ومصيبات الجوع إذ *** تمسي وتصبح طاويه
مَنْ للبطون الجائعا *** تِ وللجسوم العارية

(١) مسند الإمام الرضا عليه السلام - الشيخ عزيز الله عطاردي - ج ٢ - الصفحة ١٣٨.

(٢) الكافي ٨٨/٥.

(٣) بحار الأنوار ٣٢١/٧٥.

ويقول الإمام (عليه السلام): (وساعة لأمر المعاش)، أي على العبد أن يخصص جزءاً من وقت يومه وليلته لكسب الرّزق، والسعي في مناكب هذه الأرض، وذلك لتوفير أمر معاشه مما يحتاجه لنفقته ونفقة عياله، من مأكل وملبس ومشرب وغيرها من الاحتياجات الضروريّة والكماليّة. وقال الإمام الرضا (عليه السلام): لا تَدَعوا العمل الصالح والاجتهاد في العبادة، اتكالا على حب آل محمد (عليهم السلام)، لا تدعوا حبّ آل محمد (عليهم السلام) والتسليم لأمرهم، اتكالا على العبادة، فإنه لا يَقبل أحدهما دون الآخر [١].

٤- مساعدة المحتاجين (الصدقة)

ان الإسلام سبق العالم كله في موضوع الضمان الاجتماعي لكن بطريقة تتناسب مع الزمن الذي يعيشه المسلمون آنذاك وهي الصدقات والزكاة والخمس وغيرها، ففي موضوع الخمس، حث الإسلام ومنهم الامام الرضا على هذا الامر الذي يضمن ان تجد عائلة الفقير والمحتاج الذي لم يجد عمل يسد به رمق حياته، لقمة له ولعائلته، وجعل امر الانفاق عليهم من اشد المستحبات حتى ان امير المؤمنين تصدق بخاتمة (لأنه لا يملك غيره) وهو يصلي، وهنا لنا ان ننتبه انه عليه السلام لم يمنعه الواجب وهو أداء الصلاة من المستحب وهو الصدقة، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٢].

وفي حديث اخر، محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن محمد بن علي، عن محمد بن عمر بن يزيد قال: أخبرت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) إني أصبت بابنين وبقي لي بني صغير، فقال: تصدق عنه، ثم قال حين حضر قيامي: مر الصبي فليتصدق بيده بالكسرة والقبضة والشيء وإن قل، فان كل شيء يراد به الله وإن قل بعد أن تصدق النية فيه عظيم، إن الله عز وجل يقول: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٣] وقال: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [٤] علم الله أن كل أحد لا يقدر على فكّ رقبة فجعل إطعام اليتيم والمسكين مثل ذلك، تصدق عنه.

---

(١) بحار الأنوار / جزء ٧٥ / صفحة (٣٤٧)

(٢) القران الكريم، المائدة ٥٥.

(٣) القران الكريم، الزلزلة ٩٩: ٧ - ٨.

(٤) (القران الكريم، البلد ٩٠: ١١ - ١٦.

وعن علي بن محمد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد، عن غير واحد، عن علي بن أسباط، عن الحسن بن جهم قال: قال أبو الحسن (عليه السلام) لإسماعيل بن محمد وذكر له ابنه[١]: صدق عنه، قال: إنه رجل، قال: فمره أن يتصدق ولو بالكسرة من الخبز.

٥- التوسع على العيال

في حال ان المسلم كانت له بحبوحة من المال والرزق من عملة الجيد، دعا الامام الرضا الى التوسع في النفقة على العيال وهذا حتما ينعكس إيجابا على الاقتصاد العام لان الانفاق يعني حركة الأموال بالسوق وبالتالي يفيد الاقتصاد، والحديث هو: (عن الصدوق قال: وقال أبو الحسن الرضا عليه السلام: ينبغي للرجل أن يوسع على عياله) [٢].

٦- الحث على الزراعة

ان اهم قطاع اقتصادي في ذلك الزمن هو الزراعة، لانها تدخل في قوت الانسان بشكل مباشر، حيث روي: قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوريّ: لمّا دخل الرضا (عليه السلام) نيسابور، ونزل محلّة «فور» في دار تُعرف بدار «پسنديده» أي المرتضى -وإنّما سُمّيت پسنديده لأنّ الرضا ارتضاه من بين الناس -، فلمّا نزلها زرع في جانب من جوانب الدار لوزة، فنبتت وصارت شجرة فأثمرت في كلّ سنة، وكان أصحاب العلل يستشفون بلوز هذه الشجرة، وعُوفي صاحب قولنج وأعمى وغير ذلك)[٣]. ففي الحديث أعلاه حث الامام على الزراعة فعلا لا قولا، واراد لهم ان تكون لهم سنة في الحياة وهي زراعة الأشجار وهذا الامر لازال الى اليوم ان الجمهورية الإسلامية مهتمة جدا بهذل الامر حتى ان السيد القائد الامام الخامنئي يخرج سنويا لزراعة الأشجار.وعنه أيضا عن أبي هاشم الجعفري، قال: لما بعث المأمون رجاء بن أبي الضحاك، لحمل أبي الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، على طريق الأهواز، لم يمر على طريق الكوفة، فبقى به أهلها وكنت بالشرقي من آبيدج «ايذه» موضع، فلما سمعت به سرت إليه بالأهواز وانتسبت له، وكان أول لقائي له، وكان مريضا، وكان زمن القيظ. فقال (عليه السلام): «ابغني طبيبا".

فأتيته بطبيب، فنعت له بقلة، فقال الطبيب، لا أعرف أحدا على وجه الأرض يعرف اسمها غيرك، فمن أين عرفتها ألا إنها ليست في هذا الأوان، ولا هذا الزمان.

قال له: فابغ لي قصب السكر.

---

(١) الكافي ٤: ٦ / ٨. ينظر أيضا، وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٩ - الصفحة ٣٧٦

(٢) الفقيه: ٢ - ٣٩.

(٣) مسند الإمام الرضا (عليه السلام): ج١، ص٥٧. عن تاريخ نيسابور للحاكم النيسابوريّ.

فقال الطبيب: وهذه أدهى من الأولى، ما هذا بزمان قصب السكر.

فقال الرضا (عليه السلام): «هما في أرضكم هذه، وزمانكم هذا، وهذا معك فامضيا إلى شاذروان الماء، واعبراه فيرفع لكم جوخان [أي بيدر= محل الشعير أو الحنطة]، فاقصداه فستجدان رجلا هناك أسود في جوخانه فقولا له: أين منبت القصب السكر؟ وأين منابت الحشيشة الفلانيّة؟. ثم قال لي (عليه السلام): «يا أبا هاشم دونك القوم". فقمت وإذا الجوخان والرجل الأسود، قال: فسألناه فأومأ إلى ظهره، فإذا قصب السكر، فأخذنا منه حاجتنا ورجعنا إلى الجوخان، فلم نر صاحبه فيه فرجعنا إلى الرضا (عليه السلام)، فحمد الله.

فقال لي الطبيب: ابن من هذا؟

قلت: ابن سيد الأنبياء.

قال: فعنده من أقاليد النبوة شيء؟

قلت: نعم. ولقد شهدت بعضها، وليس بنبي.

قال: وصي نبي؟

قلت: أما هذا، فنعم.

فبلغ ذلك رجاء بن أبي الضحاك فقال لأصحابه: لئن أقام بعد هذا ليمدن إليه الرقاب، فارتحل به (عليه السلام) من الأهواز، وتقول المصادر التاريخية أن سبب مرض الإمام (عليه السلام)، هو طقس الأهواز الحار والرطب جدا.

٧- التجارة

التجارة هي ثاني اهم قطاع اقتصادي في الإسلام بعد الزراعة وكانت الجزيرة والمسلمون يعملون بها، وحتى النبي الاكرم مارس التجارة، وتوجد إشارات مهمه عن الامام الرضا في ذلك وهي:

عن الطبرسي مرسلا عن الرضا عليه السلام قال أتى أخوان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالا: يا رسول الله إنا نريد الشام في تجارة فعلمنا ما نقول؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: بعد إذا آويتما إلى منزل فصليا العشاء الآخرة، فإذا وضع أحدكما جنبه على فراشه بعد الصلاة، فليسبح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام وليقرأ آية الكرسي فإنه محفوظ من كل شيء وإن لصوصا تبعوهما، حتى نزلا فبعثوا غلاما لينظر كيف حالهما ناموا أم مستيقظون فانتهى الغلام عليهم وقد وضع أحدهما جنبه على فراشه وقرأ آية الكرسي وسبح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام.

قال: فإذا عليهما حائطان مبنيان فجاء الغلام فطاف بهما فكلما دار لم ير إلا حائطين فرجع إلى أصحابه، فقال: لا والله ما رأيت إلا حائطين مبنيين، فقالوا أخزاك الله لقد كذبت بل ضعفت وجبنت فقاموا فنظروا فلم يجدوا إلا حائطين مبنيين فداروا بالحائطين فلم يروا إنسانا فانصرفوا إلى موضعهم، فلما كان من الغد جاؤوا إليهما، فقالوا: أين كنتما؟ فقالا: ما كنا إلا ههنا، ما برحنا، فقالوا: لقد جئنا فما رأينا إلا حائطين مبنيين فحدثانا ما قصتكما؟ فقالا: أتينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعلمنا « آية الكرسي « وتسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام، ففعلنا، فقالوا: انطلقا فوالله لا يتبعكما أبدا ولا يقدر عليكما لص بعد هذا الكلام. (١). وفي رواية أن الإمام الرضا عليه السلام: «كان يكتب على المتاع بركة لنا». [٢]

٨- الخراج

ان الخراج يعد العمود الفقري في ايراد الدولة آنذاك، ولأهميته القصوى تدخل الامام الرضا عليه السلام في تصحيح اجراء هذا الموضوع المهم، والرواية تنص: صحيحة أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: ذكرت لأبي الحسن الرضا ﷺ الخراج وما سار به أهل بيته فقال: (العشر ونصف العشر على من أسلم طوعا وتركت ارضه بيده إلى أن قال: وما اخذ بالسيف فذلك إلى الامام يقبله بالذي يرى، كما صنع رسول الله (ص) بخيبر قبل أرضها ونخلها، والناس يقولون لا تصلح قبالة الأرض والنخل إذا كان البياض أكثر من السواد، وقد قبل رسول الله (ص) خيبر)[٣].

الحديث الثاني: صحيح. قوله عليه السلام: وكان للمسلمين كان هذا تقية منه عليه السلام، لأنه له خاصة دون سائر المسلمين. قوله عليه السلام: قبل أرضها ونخلها يظهر من هذا الخبر أن القبالة عقد يشمل المزارعة والمساقاة. ويظهر من بعض الأخبار شمولها للإجارة، وقد ذكر أكثر الأصحاب لفظ التقبيل في صيغ المزارعة والمساقاة، ولم يصرحوا في الإجارة به، لكن أجروا عليها لفظ التقبيل، كقولهم: من تقبل عملا فله تقبيله غيره بأقل مما تقبله به. قوله عليه السلام: والناس يقولون إشارة إلى خلاف بعض العامة، كابن عمر وأضرابه والشافعي وأصحابه. قال في التذكرة: المزارعة وهي المعاملة على الأرض بحصة ما يخرج منها.[٤]

---

(١) الشيخ رضي الدين الطبرسي، مكارم الأخلاق: ٢٩٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص٢٠١.

(٣) الوسائل ج ١١ الباب ٧٢ من أبواب جهاد العدو الحديث ١، ٢. انظر أيضا، الأراضي، الشيخ محمد إسحاق الفياض، ص ١٩٢.

(٤) ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار، ج ٦، العلامة المجلسي، ص ٣٢٨

النتائج والاستنتاجات

ان الائمة الذي هم قادة الامة والدالين على الله كانوا مهتمين في كل شيء يخص الدنيا والاخرة ومن تلك الاهتمامات هي الأمور الاقتصادية رغم بساطتها في ذلك الزمان، ومن تلك الأمور التي اعتنى بها أئمة اهل البيت عليهم السلام هو الاقتصاد في معظم فروعه، وكان لإمامنا الرضا عليه السلام إشارات مهمه جدا في الاقتصاد وخصوصا في اهم قطاعين تخص الاقتصاد وهي الزراعة والتجارة وقد جسد ذلك عمليا في الزراعة وحثها وبارك فيها فيما يخص التجارة.

وهذا يدل على اهتمام الامام بالاقتصاد وهو أيضا عالم بأهميته لما يدخل في صلب الحياة العادية للمواطن ولما فيه عز الأمم والشعوب بالاكتفاء الذاتي مما تنتج.

التوصيات

ان إظهار الجانب الاقتصادي من حياة النبي الاكرم او الائمة الاطهار عليهم السلام، لم تولى الاهتمام الكافي وبالتالي نوصي الباحثين الى الاعتناء بهذا الجانب وإبراز علم الائمة في الجانب الاقتصادي رغم ان زمانهم لم تكن المفاهيم الاقتصادية الحالية لكن الإشارات كثيرة ومهمة جدا.

قائمة المصادر

القران الكريم
١- لسان العرب ١٧٩/١١ والقاموس المحيط ص٣٩٦ والمصباح المنير ص ٥٠٤ مادة قصد.
٢- كمال توفيق حطاب، خصائص المرجع النموذجي في الاقتصاد الإسلامي، جامعة اليرموك- الأردن، ٢٠١٧.
٣- بحار الأنوار، العلامة المجلسي.
٤- الفيض الكاشاني، علم اليقين في أصول الدين.
٥- هاشم معروف الحسني، أصول التشيع.
٦- مقاتل ابن عطية، أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد.
٧- ابن الصباغ، ابن الصباغ.
٨- محمد بن علي بن شهراشوب، مناقب ال اب طالب.
٩- الشيخ الطبرسي، اعلام الورى.
١٠- المجلسي، بحار الأنوار.
١١- ابن الجوزي، المنتظم.
١٢- أحمد إسماعيل عبد الله الجبوري، تاريخ الأزمات الاقتصادية الإسلامية الأسباب والمعالجات - العصر العباسي أنموذجاً -، كلية التربية /جامعة الموصل –– العراق.
١٣- ابن الأثير، الكامل في التاريخ.
١٤- المسعودي، مروج الذهب.
١٥- المسعودي، مروج الذهب.
١٦- القرشي، حياة الإمام الرضا.
١٧- مسند الإمام الرضا ﷺ - الشيخ عزيز الله عطاردي.
١٨- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار.
١٩- الكليني، الكافي.
٢٠- الشيخ الصدوق أبى جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، من لا يحضره الفقيه.
٢١- الشيخ رضي الدين الطبرسي، مكارم الأخلاق.
٢٢- حر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة.
٢٣- العلامة المجلسي، ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار.